مظاهر الضعف السياسي في الأندلس خلال عصر ملوك الطوائف

كمال قمان
جامعة زيان عاشور- الجلفة
KamalGamane@gmail.com

تاريخ الإرسال: 2019/10/22؛ تاريخ القبول: 2023/02/23

The Aspects of the Political Weaknesses in Andalusia During the Era of the Kings of Sects

Kamal GAMANE

Abstract:

As a result of the political chaos that followed the fall of the Umayyad caliphate, Andalusia get divided into political units in 422 AH/1031 CE, each of which had a state, varying in size, power, and importance. These small states were known as sect states, and their rulers were known as sect kings. Among these states were ongoing conflicts and wars, which weakened them, and became up for grabs in the hands of the Spanish Christians, who took advantage of this Islamic weakness, they united most of their territories in a strong great kingdom (Christian kingdom of Castile), and their kings took the step to regain Andalusia, and they were able to occupy the heart of Andalusia (Toledo), Coimbra, Lamego and Viseo, they also took several assaults on other areas such as Bobastro and Valencia .However; owning to the grace of the Almighty Allah and then the efforts of the Almoravid state, the fall of Andalusia at that time was delayed for more other centuries.

Keywords: Andalusia; The reign of the kings of Sects; kingdoms of Sects; the fifth century AH; Spain.

الملخص:

نتيجة الفوضى السياسية التي أعقبت سقوط الخلافة الأموية، انقسمت الأندلس منذ سنة 422هـ/1031م إلى وحدات سياسية، قامت في كل منها دولة، تفاوتت فيما بينها في الحجم والقوة والأهمية، هذه الدويلات الصغيرة، عُرفت بدول الطوائف، وعُرف حُكّامها بملوك

الطوائف. كانت بين هذه الدويلات نزاعات وحروب مستمرة، مما أضعفها، وأصبحت لقمة سائغة في يد النصارى الإسبان، الذين استغلوا هذا الضعف الإسلامي، فوحّدوا معظم ممتلكاتهم في مملكة كبرى قوية(مملكة قشتالة النصرانية)، وأخذ ملوكها على عاتقهم استرداد الأندلس بزعمهم، واستطاعوا احتلال طليطلة قلب الأندلس وقُلُمْرِية وبازو وَلميقة، والاعتداء على عدة مناطق أخرى مثل بربشتر وبلنسية. ولولا فضل الله سبحانه وتعالى ثم جهود دولة المرابطين، لَماَ تأخّر سقوط الأندلس لقرون أخرى.

الكلمات المفتاحية: الأندلس؛ عهد ملوك الطوائف؛ دول(ممالك) الطوائف؛ القرن الخامس الهجري؛ اسبانيا.

مقدمة:

يُعد الدّور الذي أَطْلق عليه المؤرّخون، بعهد مُلوك الطَّوائف، من أكثر أَدْوَار التاريخ الأندلسي تعقيدًا واضطرابًا، والذي بدأ منذ الإعلان رسميًّا، عن إنهاء رُسُوم الخلافة الأَمَوِيَّة بالأندلس، وإجْلاَء مَنْ تَبَقَّى من بني أُمَيَّة عن قُرْطُبَة، في 12 ذي القعدة سنة 422هـ/ 30 نوفمبر 1031م، وأُسْنِدَت رئاسة الدولة في قُرطبة، إلى أبي الحَزْم جَهْوَر(ت435هـ/ 1043م) عميد آل جَهْوَر. فسارع حُكَّام الأقاليم والمدن، من عرب وبربر وموالي، بالانفصال عن قرطبة، وأعلنوا استقلالهم وعدم اعترافهم بسُلطتها. بعدها انقسمت البلاد إلى وحدات سياسية، وتدهورت الأوضاع الأمنية والسياسية والاجتماعية والاقتصادية، وتراجعت حدود الإسلام في الأندلس إلى الوراء. فما هي أهم مظاهر الضعف السياسي في الأندلس خلال عهد ملوك الطوائف؟.

انقسام الأندلس إلى مجموعة من الدويلات الضعيفة والمتصارعة:

انقسمت الأندلس منذ سنة 422هـ/1031م إلى وحدات سياسية، قامت في كل منها دولة، تفاوتت فيما بينها في الحجم والقوة والأهمية، حيث يقول المقري: "وانقطعت الدولة الأمويّة من الأرض، وانتثر سلك الخلافة بالمغرب[الأندلس]، وقام الطوائف بعد انقراض

الخلائف، وانتزى الأمراء والرؤساء من البربر والعرب والموالي بالجهات، واقتسموا خُطَّتها، وتغلّب بعضٌ على بعض، واستقلّ أخيرا بأمرها منهم ملوك، استفحل أمرهم، وعظم شأنهم"(المقري التلمساني، 1988: 438/1).

هذه الدويلات الصغيرة، عُرفت بدول[أو ممالك] الطوائف، وعُرف حُكّامها بملوك[أو أمراء] الطوائف: "وهم ما بين مَجْبُوبٍ وبربري مَجْلُوب، ومُجَنَّد غير مَحْبُوب، وغُفْلٍ ليس في السُّرَاة بِمَحْسُوب، مَا منهم من يرضى أن يُسَمَّى ثائرا ... ولو جاءَهُ عمر بن عبد العزيز[رضي الله عنه]، لم يَقْبَل عليه ولا لقي خيراً لديه، ولكنهم استوفوا في ذلك آجالاً وأعماراً، وخلفوا أثاراً، وإن كانوا لم يبالوا اغتراراً، من معتمد ومعتضد ومرتضى"(لسان الدين ابن الخطيب، 1956: 144)

كما قال الشاعر(أنظر التعليق رقم 1):

ممّا يُزَهِّدني في أرضِ أنْدَلُسٍ أسماءُ مُعْتَضِدٍ فيها ومُعْتَمِـــــدِ
أَلْقَابُ مَمْلكةٍ في غَيْرِ مَوْضِعها كالهِرِّ يَحْكِي انتفاخاً صورَةَ الأسَدِ
(لسان الدين ابن الخطيب، 1956: 144)

وقد انقسمت الأندلس من الناحية الإقليمية، إلى ست مناطق رئيسية: الأولى منطقة العاصمة قرطبة وما حولها من المدن والأراضي الوسطى، والثانية منطقة طليطلة والتي كانت تُعرف بالثغر الأوسط، والثالثة اشبيلية وغربي الأندلس، والرابعة غرناطة وكورة رَيُّه(أنظر التعليق رقم 2)، والخامسة بلنسية ومنطقة شرقي الأندلس، والسادسة منطقة سرقسطة أو الثغر الأعلى قديما.

وقد أصبحت هذه المناطق، تحت لواء ثلاثة عصبيات كبيرة، عملت كل عصبية على بسط حكمها وسلطانها في الأندلس. وهذه العصبيات هي: الأولى والتي يمثلها أهل الأندلس، ومنهم العربي والبربري والاسباني المسلم والصقلبي(أنظر التعليق رقم 3)، إلا أنّهم انصهروا في بوتقة واحدة، وهي البوتقة الأندلسية، وبالتالي أصبحوا أمة واحدة، بحكم الجوار الطويل والمصاهرة، رغم اختلاف أصولهم. أما العصبية الثانية فإنّها يمثلها البربر حديثو العهد بالأندلس، كبني زيري الصنهاجيون، وبني حمود الأدارسة[رغم أنّهم عرب أشراف،

إلا أنهم نتيجة مجاورتهم واختلاطهم بالبربر، أصبحوا يُشَبَّهُون بهم]، وقد حكم كل هؤلاء البربر، القسم الجنوبي من الأندلس. و العصبية الثالثة يمثلها الموالي العامريون، الذين حكموا القسم الشرقي من الأندلس(أحمد مختار العبادي، 2005: 255).

وقد حاولت كل عصبية، أن تحيط مُلكها بسياج روحي، لتستمد منها شرعيتها، وذلك بإقامة خليفة في منطقتها(أحمد مختار العبادي، 2005: 257). وهكذا نجد أنّ الخلافة في الأندلس، قد تعددت بتعدد ملوك الطوائف، وهذا يعتبر مظهرا من مظاهر الفوضى السياسية والاجتماعية والأخلاقية، التي سادت آنذاك البلاد، وهذا ما جعل كثير من الشخصيات تستنكر لهذا الأمر، ومنهم العالم الكبير ابن حزم الظاهري[ت 456هـ/ 1064م]، الذي يُعلّق على ذلك بقوله: "فضيحة لم يقع في العالم إلى يومنا مثلها، أربعة رجال في مسافة ثلاث أيام في مثلها، كلهم يتسمى بأمير المؤمنين، ويُخْطَبُ لهم بها في زمن واحد، وهم خلف الحُصُرِي باشبيلية على أنّه هشام بن الحكم[المؤيد]، ومحمد بن القاسم بن حمود بالجزيرة الخضراء، ومحمد بن إدريس بن علي بن حمود بمالقة، و إدريس بن يحيى بن علي بن حمود ببُبَشْتَرْ(ابن حزم الأندلسي، 1987: 97-98)، ويضيف ابن حزم: "وهو أمر لم يُسمع في الدنيا بأشنع منه، ولا أَدَلَّ على إدبار الأمور(ابن عِذاري المراكشي، 1983: 244/3).

وهكذا انقسمت الأندلس، إلى أكثر من عشرين دولة، إلاّ أنّ أهم هذه الدول، والتي كان لها دور كبير، في أحداث تاريخ الأندلس في هذا العهد، هي كل من:

دولة بني جَهْوَر في قرطبة: تأسست في قرطبة سنة 422هـ/1031م، بزعامة الوزير أبي الحزم جَهْوَر إلى وفاته سنة 435هـ/1044م، فخلفه في الحكم ابنه محمد أبا الوليد إلى سنة 457هـ/1064م، ليخلفه ابنه عبد المالك، الذي لم يكن كسابقيه في الحزم وحُسن تسيير أمور، فقد أهمل شؤون العامة، وقرّب إليه الأوغاد والسوقة، فضعف أمره، وتفرّق عليه الناس، فاستغلها بنو عباد، الذين كانوا يطمعون في أخذ المدينة، وقد سعوا في ذلك، وحانت لهم الفرصة بانتشار الفوضى، والاضطرابات بقرطبة، فاستغلوا ذلك وتظاهروا بمساعدة أمير

قرطبة، من أطماع المأمون بن ذي النون[ت467هـ/1065م] حاكم طليطلة، فدخلوا المدينة، وأعلنوا ضمها لمملكتهم سنة 462هـ/ 1070م(ابن عِذاري المراكشي، 1983: 3/185).

دولة بني عبّاد في اشبيلية: تأسست في اشبيلية سنة 414هـ/1023م، بزعامة قاض اشبيلية محمد بن إسماعيل بن عبّاد، إلى وفاته سنة 433هـ/1042م، فخلفه في الحكم ابنه عبّاد، الملقب بالمعتضد وكان أشهر حكامها. وفي عهده توسعت الدولة كثيرا وبلغت أوج قوتها، إلى وفاته سنة 461هـ/1069م، ليخلفه في الحكم ابنه محمد المعتمد، الذي كان من أهم أعماله ضم قرطبة سنة 462هـ/1070م إلى مملكته. وأصبحت الدولة في عهده أقوى دول الطوائف، إلى أن ضمّها المرابطون إلى مملكتهم سنة 484هـ/1091م(ابن عِذاري المراكشي، 1983: 3/194-215).

دولة بن ذي النون في طليطلة: تأسست في طليطلة سنة 427هـ/ 1036م، بزعامة إسماعيل بن عبد الرحمن بن ذي النون، الملقب بالظافر إلى وفاته سنة 435هـ/1043م، فخلفه في الحكم ابنه يحيى بن ذي النون الملقب بالمأمون. وقد بلغت الدولة في عهده، أوجّ قوتها وفخامة قصورها، إلى وفاته سنة 467هـ/1075م، فخلفه حفيده يحيى الملقب بالقادر، والذي تميز بالضعف وسوء الرأي، حيث سقطت الدولة في عهده، في يد ملك قشتالة النصراني ألفونسو السادس سنة 478هـ/1085م(ابن عِذاري المراكشي، 1983: 3/276-283).

دولة بني زيري في غرناطة ومالقة: تأسست في غرناطة سنة 403هـ/1013م بزعامة زاوي بن زيري الصنهاجي، الذي انتقل إلى إفريقية، فخلفه ابن أخيه حبوس بن ماكسن سنة 411هـ/1020م، إلى وفاته سنة 428هـ/1037م، حيث خلفه في الحكم ابنه باديس المظفّر، الذي يعد من أقوى حكام هذه الدولة. وقد بلغت في عهده الدولة أوجّ قوتها إلى وفاته سنة 465هـ/1073م، فخلفه في حكمها، حفيده عبد الله بن بلكين. الذي سقطت في عهده الدولة، في يد المرابطين سنة 483هـ/1090م(ابن عِذاري المراكشي، 1983: 3/262-266).

دولة بني الأفطس في بَطَلْيَوْس: تأسست في بَطَلْيَوْس سنة 413هـ/ 1022م، بزعامة عبد الله بن محمد بن سعد بن مسلمة المعروف بابن

الأفطس، إلى وفاته سنة 437هـ/ 1045م، فخلفه في الحكم ابنه محمد المظفر، إلى وفاته سنة 461هـ/ 1068م، ليخلفه في الحكم ابنه يحي المنصور، إلى وفاته سنة 464هـ /1072م، فخلفه في الحكم أخيه عمر المتوكل، إلى أن سقطت في يد المرابطين سنة 488هـ/1094م (ابن عِذاري المراكشي، 1983: 3/ 235-238).

دولة بني هُود في سَرَقُسْطَة: تأسست في سرقسطة سنة 431هـ/ 1039م، بزعامة سليمان بن محمد الملقب بالمستعين، إلى وفاته سنة 438هـ/1046م، حيث خلفه في الحكم ابنه أحمد المقتدر، الذي اشتهرت في عهده المملكة، وخاصة من الناحية العلمية، إلى وفاته سنة 474هـ/1081م، فخلفه في الحكم ابنه يوسف المؤتمن، الذي استمر في الحكم إلى وفاته سنة 478هـ/1085م، ليخلفه في الحكم ابنه أحمد المستعين(الأصغر)، إلى وفاته سنة 503هـ/1110م، فخلفه في الحكم ابنه عبد الملك عماد الدولة، والذي سقطت الدولة في عهده، في يد المرابطين سنة 503هـ/1109م(ابن عِذاري المراكشي، 1983: 3/ 221-229).

دولة بني صُمَادِح في أَلْمَرِيَّة: تأسست في أَلْمَرِيَّة سنة 433هـ/ 1041م، بزعامة مَعْن بن صُمَادِح، إلى وفاته سنة 443هـ/1051م، حيث خلفه في الحكم ابنه محمد المعتصم، الذي اشتهرت في عهده المملكة، وخاصة من الناحية الأدبية، وطال حكمه، إلى أكثر من أربعين سنة، إلى وفاته سنة 484هـ/1091م، فخلفه في الحكم ابنه معز الدولة أحمد بن المعتصم، والذي سقطت في عهده الدولة، في يد المرابطين سنة 484هـ/1091م، بعد بضعة أشهر من حكمه(ابن عِذاري المراكشي، 1983: 3/167-168).

دولة بَلَنْسِيَّة: تأسست في بَلَنْسِيَّة سنة 400هـ/1009م، بزعامة الفتيان العامريين الصقالبة إلى سنة 411هـ/1021م(ابن عِذاري المراكشي، 1983: 3/166-167) ، ثم حكمها أحفاد المنصور محمد بن أبي عامر إلى سنة 457هـ/1065م وهم كل من: عبد العزيز المنصور (411-452هـ/1021-1061م)، وبعد وفاته خلفه ابنه عبد الملك (452-457هـ/ 1061-1065م). ثم يسيطر عليها المأمون بن ذي النون حاكم طليطلة، إلا أنّه ترك حكمها للفقيه أبي بكر محمد بن عبد

العزيز[ت 478هـ/1085م]، نائبا عنه فيها، إلى سنة 467هـ/1075م، حيث استقل بها أبو بكر محمد بن عبد العزيز هذا إلى سنة 478هـ/ 1085م. لترجع مرة أخرى لحكم بني ذي النون، وتصبح في يد يحي القادر بن ذي النون إلى سنة 485هـ/1092م، حيث يستقل بحكمها قاضي بلنسية القاضي جعفر بن عبد الله ابن جَحَّاف[ت 488هـ/ 1095م] إلى سنة 487هـ/1094م، وبعد مقتل هذا الأخير[تمّ حرقه] تُصبح تحت نفوذ النصارى، إلى أن يستردها المرابطين سنة 495هـ/ 1102م، وترجع مرة أخرى إلى حوزة الإسلام(ابن عِذاري المراكشي، 1983: 3/303-306).

مملكة دَانِيَة والجزائر الشرقية: تأسست في دَانِيَة سنة 400هـ/ 1009م، بزعامة مجاهد العامري(أحد موالي المنصور ابن أبي عامر). والذي ازدهرت في عهده المملكة، وخاصة من الناحية العلمية والأدبية، إلى وفاته سنة 436هـ/1044م. فخلفه في الحكم ابنه علي إقبال الدولة إلى سنة 468هـ/1076م. ليسيطر عليها بعد ذلك، أحمد المقتدر بن هود صاحب سرقسطة إلى سنة 474هـ/1081م، ثم خلفه المنذر بن هود، إلى أن سقطت في يد المرابطين منذ سنة 484هـ/1091م(ابن عِذاري المراكشي، 1983: 3/155-158).

أما عن أحوال دول الطوائف، فإنّها لم تكن تتوفر على أبسط مُقوّمات الدولة، لأنّها لم تكن تستطيع الحياة بمفردها، أو تستطيع الاستقلال بشؤونها السياسية والعسكرية، مما جعلها كيانات شبيهة بالدويلات الإقطاعية في أوروبا(محمد عبد الله عِنان، 1960: 402). وهذا لطبيعة سلطاتها التي كانت تفتقد إلى الشرعية(إبراهيم القادري بوتشيش، 2002: 118)، وإنّما كانت بها أسر أو زعامات، تعمل لمصلحتها الخاصة ودعم سلطانها وبذخها(محمد عبد الله عِنان، 1960: 402). كما اتسمت هذه الإمارات بالضعف حتى: "ذل الرئيس والمرؤوس، وافتقرت الرّعية، وفسدت أحوال الجميع بالكلية، وزالت من النفوس الأَنَفَة الإسلامية(عبد الملك ابن الكردبوس، 1971: 77).

ومما زاد من وضعية دول الطوائف تأزماً، هو إغراق نفسها في صراعات دموية، زادت من ضعفها، وعدم استطاعتها مجابهة

عدوها الحقيقي، والذي نعني به اسبانيا النصرانية، بل راح كل طرف، يحشد قواته من العبيد والمرتزقة، ويطلب المساعدة من النصارى، لمجابهة زميله وجاره الأضعف منه، وانتزاع ما في يده، فقد "جعل الله من أولئك الأمراء ملوك طوائف، من التحاسد والتنافس والغيرة، ما لم يجعله بين الضرائر المترفات، والعشائر المتغايرات (لسان الدين ابن الخطيب، 1956: 244).

وقد استمرت هذه الحالة المؤسفة، من حياة الأمة الأندلسية، نحو سبعين عاما، كلها تفكك خطير، وانحلال سياسي واجتماعي شامل وعميق(محمد عبد الله عِنان، 1960: 402).

توحّيد الجبهة النصرانية الإسبانية:

لم يستفد من هذا المصير المحزن، الذي وصلت إليه حال الأندلس، إلاّ القوى النصرانية المتربصة، والتي استطاعت خلال هذه الفترة، أنْ تستولي على بعض الأراضي الإسلامية، وتضمها إليها. ففي الوقت الذي تمزقت فيه وحدة الأندلس الإسلامية، إلى أشلاء متناثرة، تشكلت في الشمال الاسباني[النصراني]، دولة متحدة متكاملة، من الفلول التي تركها المسلمون عند فتحهم للبلاد، في منطقة أشتوريس الجبلية Asturias، الواقعة في الرّكن الشمالي الغربي من شبه الجزيرة، المعروف بمسالكه الوعرة، ومناخه البارد، فأهمله المسلمون الفاتحون، تقليلا من شأنه وأهميته(المقري التلمساني، 1988: 351/4).

فتشكلت في منطقة أشتوريس أوّل مملكة نصرانية متحدة، في شبه الجزيرة الإيبيرية بعد الفتح الإسلامي[في القرن الثاني الهجري/ الثامن الميلادي]، بقيادة الملك بلاي[Pelayo]، ثم ابنه فافيله، ثم ألفونسو بن بيدرو زوج ابنة بلاي، وَجَدّ بني ألفونسو، ملوك اسبانيا النصرانية(المقري التلمساني، 1988: 351/4). فكانت هذه الفلول، هي النّواة التي تجمعت حولها جهود النصارى، وأسسوا بعض الممالك النصرانية الصغيرة(أنظر التعليق رقم 4). والتي اتحدت في بداية القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي، تحت قيادة الملك سانشو الثالث[الكبير أو العظيم] (1035-1000م)(لسان الدين ابن الخطيب، 1956: 329).

وفي سنة 427هـ/1035م توفي الملك سانشو الثالث، وكان قبل ذلك، قد قسّم مملكته على أولاده الأربعة: فرناندو، غرسيه، راميرو، جونزالو، فكان نصيب فرناندو: قشتالة وليون. وقد استطاع فرناندو، أن يحافظ على ممتلكاته، ويوحّدها في مملكة قوية، ويُوجّه كل جهوده، نحو الفتوحات على الجبهة الإسلامية، وقيادته لسياسة حرب الاسترداد الاسبانية La Reconquista، والتي أعطى لها نفسا قويا، وروحا جديدة(يوسف أشباخ، 1958: 9-12). وأضحي فرناندو يطالب بإجلاء المسلمين عن البلاد[الأندلس الإسلامية]، وهذا ما نستشفه من قوله: "فإنّما نطلب بلادنا، التي غلبتمونا عليها قديما، في أوّل أمركم، فقد سكنتموها ما قُضِيَ لكم، وقد نُصرنا الآن عليكم برداءتكم، فارحلوا إلى عُدْوَتكم[يقصد بلاد المغرب]، واتركوا لنا بلادنا، فلا خير لكم في سكناكم معنا بعد اليوم، ولن نرجع عنكم، أو يحكم الله بيننا وبينكم(ابن عِذاري المراكشي، 1983: 282/3).

وهذا تعبير دقيق وخطير، يُوَضّح سياسة النصارى، ويُبيّن أهدافهم في استرداد الأراضي، وقد نظروا إلى المسلمين كأجانب ودُخَلاء، رغم أنّهم عمّروا البلاد طويلا. وقد بدأ يعمل على هذه السياسة، بفرض الجزية على أمراء الطوائف، وقيادته لسلسلة من الغزوات، على الأراضي الإسلامية، كانت نتيجتها ضم عدة مناطق إسلامية إلى مملكته، أهمها استيلاءه على مدينتي بازو (Viseo) ولَمِيقة (Lamego)، من عند المظفر ابن الأفطس حاكم بطليوس، وذلك في سنة 449هـ/ 1057م(Philippe Conrad, 1999 : 48) ، وكذلك مدينة قُلُمْرِيَّة سنة 456هـ/ 1064م(ابن عِذاري المراكشي، 1983: 238/3).

ورغم كل هذا، فإنّ أمراء الطوائف، لم يحاولوا مجابهة هذا العدو النصراني المتربص بهم، بل أنهم أخذوا يسلكون مسلكا خطيراً وجباناً، وهو الاستعانة بملوك النصارى، لضرب إخوانهم والاستيلاء على مناطقهم. وطبعاً وبلا تردّد، سارع ملوك النصارى، وفي مقدمتهم فرناندو الأول، إلى تقديم يد المساعدة، لا حباً فيهم، كما يضن هؤلاء الأمراء، ولكن للعمل على تشرذمهم، وامتصاص قوتهم وإضعافهم، دون أن يخسر في ذلك شيئا.

وهكذا اتسعت رقعة مملكة قشتالة، في عهد فرناندو الأول اتساعا عظيما، وأحرزت اسبانيا النصرانية تفوقها الواضح على الأندلس الإسلامية(محمد عبد الله عِنان، 1960: 372) ، حتى غدت ممالك الطوائف تدفع له الجزية مرغمة وصاغرة، وجيوش النصارى تسلب وتحرق وتقتل وتأسر، وتعيث في أراضيهم فساداً، وبلا رادع (عبد الملك ابن الكردبوس، 1971: 75). بل الأكثر من ذلك أنّ ملوك الطوائف، كانوا يتنافسون على إرضائه واستلطافه بالهدايا ودفع الجزية له، وهم صاغرون، ويعبر عن ذلك أحد المؤرخين بقوله: "فلم يزل دأبهم الإذعان والانقياد[يعني ملوك الطوائف]، ودأب النصارى التّسلط والعناد، بما كانوا ضربوا على أنفسهم من الضريبة، إلى ما يتبعها من هديات ونفقات"(ابن بسام الشنتريني، 1981: ق2.مج248/1).

وفي27 ديسمبر 1065م/457هـ توفي الملك فرناندو الأول، بعد أنْ كان قد قسّم مملكته في السنة التي سبقتها على أولاده الثلاثة: سانشو[شانجه]، ألفونسو السادس[ألفنش]، جارسيا[غرسيه]. لتعود اسبانيا النصرانية مرة أخرى نحو الحروب الأهلية بين الإخوة الملوك. وبعد عدة مواجهات استطاع ألفونسو السادس، الاستحواذ على ممتلكات إخوته، بعد مقتل أخيه سانشو الثاني في أكتوبر سنة 1072م/464هـ، وأسر أخيه الأصغر جارسيا في فبراير سنة 1073م /465هـ. فضم جميع ممتلكات إخوته، ووحّدها في مملكة قوية، حيث استطاع هذا الملك، أن يُعيد وحدة اسبانيا النصرانية مرة أخرى، ولكن أكثر قوة واتساعا من ذي قبل، ورغبة في خوض الحروب والغزوات التوسعية، على حساب الأندلس الإسلامية، وحمل لواء حرب الاسترداد الاسبانية، والتي بدأها أبوه فرناندو الأول(ليفي بروفنسال، 1990: 126-128).

كان ألفونسو السادس أكثر حماسة وجرأة وقوة من أبيه، في حروبه التوسعية على حساب المسلمين، ومما كان في صالحه، أنّ الأندلس الإسلامية، كانت في عهده تمرّ بأسوأ حالاتها من التشرذم والصراعات الداخلية، والحروب المستمرة بين أمراء الطوائف، الذين كان لاَ هَمّ لهم سوى العيش في بذخ، وشن الغارات التوسعية ضد

بعضهم البعض، والاستعانة بأعدائهم ملوك النصارى، دون أدنى اعتبار لا للدَّين ولا للوطن ولا للعنة التاريخ والأجيال(محمد عبد الله عِنان، 1960: 402) ، وفي ذلك يعلق أحد المؤرخين بقوله: "وكان أَسرّ شيء عند الفنش[يعني ألفونسو السادس]، فتنة تقع بين الوُلاّة من المسلمين[يقصد أمراء الطوائف]، فيُعِين هذا على هذا، وهذا على هذا، فيستجلب بذلك أموالهم، طمعاً منه أن يعجزوا، فيظفر هو بمُلك الجزيرة كلّها"(عبد الملك ابن الكردبوس، 1971: 82).

وقد زاد ألفونسو السادس بمطالبه بفرض الجزية على هؤلاء الملوك، والتضييق عليهم، بحملاته المستمرة على أراضي المسلمين، وقيامها بأعمال الحرق والنهب والسبي، حتى استطاعت جيوشه، أن تشق الأندلس من الشمال إلى الجنوب، والوصول إلى أقصى حدود الأندلس الجنوبية عند جزيرة طريف وذلك في سنة 475هـ/1082م (ابن أبي زرع الفاسي، 1972: 143). وهكذا بدأ ألفونسو السادس يستغل كل الفرص، ويستعد لبلوغ غايته الكبرى، وهي استرداد كامل الأندلس، حيث يُعبّر عن ذلك بقوله: "ولكن الرأي كل الرأي، تهديد بعضهم البعض، وأخذ أموالهم أبدا حتى ترق وتضعف، ثم هي تلقي بيدها إذا ضعفت"(ابن بُلكّين الزّيري، 2006: 94).

وقد توّج ألفونسو السادس مشاريعه باستيلائه على طليطلة في محرم سنة 478هـ/ ماي1085م(ابن عبد المنعم الحِمْيَري، 1988: 135)، بل وتطلّع لحكم الأندلس كله، حيث يقول ابن بسام في هذا الصدد: "وقد حدثت أن شيعة أذفونس[ألفونسو السادس] ـ لعنه الله وبددها ـ أشاروا عليه يومئذ[يوم سقوط طليطلة] بلبس التّاج، وزيّنوا له زي من سلف بالجزيرة، قبل فتح المسلمين إيّاها، من أعلاج، فقال: لا، حتى أطأ ذرّة الملك، وأخذ قرطبتهم، واسطة السلك"(ابن بسام الشنتريني، 1981: ق4.مج168/1). ومع هذا الخطر الدّاهم، فإنّ أمراء الطوائف، مازالوا في شقاقهم وتخاصمهم والانغماس في ملذاتهم ولهوهم، و"مشتغلون بشرب الخمور، واقتناء القِيّان، وركوب المعاصي، وسماع العيدان، وكل واحد منهم يتنافس في شراء الذخائر الملوكية، متى طرأت من المشرق"(عبد الملك ابن الكردبوس، 1971: 77).

وإلى جانب ألفونسو السادس، ظهرت شخصية عسكرية أخرى، زادت من متاعب ومشاكل مسلمي بلاد الأندلس، وقد عانت منه كثيرا، خاصة الجهة الشرقية منها، ألاَ وهي شخصية السَّيد القمبيطور [أو الكمبيطور](أنظر التعليق رقم 5)، والذي لم يكن سوى لص محترف، تحول إلى قائد غارات، جمع من حوله جماعة من الفرسان النصارى المغامرين، ولاَ اعتبارات لديه لا للدَّين ولا للوطن، فتارة يعمل لدى المسلمين وتارة لدى النصارى، فالمهم لديه هو من يدفع له أكثر(ليفي بروفنسال، 1990: 182)، حيث يصفه ابن بسام: بـ"كلب من أكلب الجلالقة يسمى رذريق[أو لذريق]، ويدعى الكمبيطور، وكان عقالا، وداء عضالا، له في الجزيرة وقائع، وعلى طوائفها بضروب المكروه، إطلاعات ومطالع"(ابن بسام الشنتريني، 1981: ق3.مج1/ 95)، وقد وصل به طمعه بأنْ تطلّع إلى الاستيلاء على الأندلس كلها، حيث يقول ابن بسام في هذا الصدد كذلك: "حدثني من سمعه يقول، وقد قوي طمعه، ولج به شجعه: على رذريق فتحت هذه الجزيرة، ورذريق سينقذها"(ابن بسام الشنتريني، 1981: ق3. مج1/95).

التحرشات الاسبانية النصرانية على الأندلس الإسلامية:

نتيجة لتعدد الإمارات والنزاعات المحتدمة بينهم، والحروب المستمرة تبعا لذلك، أصيبت الأندلس بهزات عنيفة، تركت آثارها الوخيمة على مستقبل الأندلس، وأخطر هذه الهزات:

سقوط طليطلة:

تعتبر مملكة طليطلة من أهم ممالك الطوائف، نظرا لموقعها الهام، ومساحتها الكبيرة. وقد كانت تعرف بالثغر الأوسط، لمتاخمة حدودها للممالك الاسبانية النصرانية في الشمال، واعتبارها بذلك حاجزا للدولة الإسلامية ضد عدوان النصارى(محمد عبد الله عِنان، 1960: 93)، وبالتالي فإنّ سقوطها يعني تهديد الوجود الإسلامي برمته في الأندلس، إذْ كانت تحتل رقعة شاسعة في قلب اسبانيا وتمثل نقطة الدائرة منها، أما عاصمتها مدينة طليطلة، فإنها تتوسط هذه المملكة الشاسعة، وتقع على هضبة مرتفعة، يصعب الوصول إليها (ابن عبد المنعم الحِمْيَري، 1988: 130).

ونظرا لأهمية موقع مدينة طليطلة، فإنها عندما سقطت في يد

ألفونسو السادس في محرم سنة 478هـ/ماي 1085م، انهارت بعدها مباشرة جميع المدن والقرى والقلاع التابعة لها، والتي كانت تقدر بأكثر من ثمانين منبراً، بين مدن وقرى(عبد الملك ابن الكردبوس، 1971: 87)، لِمَا تُمثله المدينة من موقع دفاعي هام ومركز حسّاس. وقد عُدّ هذا الحادث الخطير، من أهم حوادث التاريخ الاسباني، بل والنصراني في العصور الوسطى(ليفي بروفنسال، 1990: 120). كما كان له دوي عظيم، ووقْع أليم في نفوس أهل الأندلس، بل وفي سائر أنحاء العالم الإسلامي(عبد الرحمن الحجي، 1998: 351)، وهو ما عبّر عنه شاعر مجهول، يبكيها في أبيات شعرية يقول فيها (المقري التلمساني، 1988: 483/4):

لثُكْلِكِ كيف تبتسم الثـــــغورُ سروراً بعدما سُبِيتْ ثغور
لقد قُصِمَتْ ظُهورٌ حين قالـوا أمير الكافــرين له ظُهـورُ
طليطلة أباحَ الكفُــر منـــها حماها، إنّ ذا نبأ كبـــــيرُ
فلَيْس مثالهـا إيـوانُ كسـرى ولا منها الخَوَرْنَقُ والسَّدِيـــرُ
مُحصَّنةٌ مُحَسَّنةٌ بَعـــــــيدٌ تَنَاوُلُها ومَطْلَبُها عَسِـــــــيرُ
ألم تك معقلاً للدَّيــن صعـبا فذ لله كما شاء القــــــــــدير
وأخــرج أهلها منها جميـعا فصاروا حيث شاء بهم مصير
وكانت دارَ إيمان وعلـــــم معالمها التي طمست تُنـــــيرُ
فعادتْ دارَ كفـــر مصطفاة قد اضطربت بأهليها الأمـــورُ
مساجــدُها كنائسُ، أيُّ قلب على هذا يقــــــرُّ ولا يطــيرُ
فيا أسفاه يا أسفاه حـــــــزناً يُكَرَّرُ ما تكرّرت الدهـــــورُ

أما من جانب الطرف الإسباني النصراني، فقد عُدّ هذا الحادث تتويجا للجهود الكبيرة، التي بذلت في حركة الاسترداد المسيحي في القرن الحادي عشر الميلادي/القرن الخامس الهجري، وقد زاد في إلهاب حماس القوى النصرانية(ليفي بروفنسال، 1990: 120).

وقد كان سقوط طليطلة، نتيجة حتمية للموقف المتخاذل لملوك الطوائف، فالمعتمد بن عباد صاحب أشبيلية وأقوى أمراء الطوائف، تَعهّد لألفونسو السادس بدفع الجزية، وعدم اعتراضه على غزو المدينة، بشرط مساعدته في صراعه مع خصومه المسلمين، حيث اتفق الطرفان على أنْ يحتل ألفونسو السادس طليطلة، ويُقدم بدوره

جندا مرتزقة من النصارى للمعتمد، لمساعدته في حربه ضد جيرانه من المسلمين(يوسف أشباخ، 1958: 56). أما بقية الأمراء، فقد كانوا في صراع سواء مع بعضهم البعض، أو مع الممالك الإسبانية النصرانية، من أجل الحفاظ على عروشهم الواهية.

أما مملكة طليطلة بحد ذاتها، فإنها لم تكن من القوة حتى تستطيع الصمود، طالما كان يحكمها أمير ضعيف جبان سيء الرأي، وهو يحي القادر حفيد المأمون بن ذي النون(لسان الدين ابن الخطيب، 1956: 179)، والذي كثرت في عهده الفتن والاضطرابات، بسبب أعماله السيئة، خاصة عندما قتل وزيره ووزير جده، الفقيه أبي بكر يحي بن الحديدي سنة 468هـ/1076م، وكان سبب قتله لهذا الفقيه، هو تحريض أعداء هذا الفقيه، الذين كان المأمون جده قد سجنهم سابقا، بسبب محاولة التآمر ضده، وقد كشف أمرهم هذا الفقيه، لذلك نقموا عليه وانتظروا ساعة الثأر، والتي حانت بوفاة المأمون ووصول حفيده يحيى القادر لحكم طليطلة(ابن بسام الشنتريني، 1981: ق2. مج254/1).

لكن يحي القادر لم يعط لهذا الأمر أهمية، مما ألّب عليه شرائح المجتمع، خاصة عصبة آل الحديدي القوية في طليطلة. كما أنّ كل المسؤولية تقع على عاتق جده يحي المأمون بن ذي النون، الذي تعاون مع الملك ألفونسو السادس، وصادقه وأواه في طليطلة أثناء إقامته منفيا فيها، الأمر الذي ساعد ألفونسو السادس على التعرّف على عورات المدينة ونقاط ضعفها(لسان الدين ابن الخطيب، 1956: 330). حتى تخيل النصارى الإسبان، بأنّ نفي ألفونسو السادس، وإقامته في بلاط طليطلة، قد هيأته العناية الإلهية(ليفي بروفنسال، 1990: 127).

الحملة النُورْمَانية على بَرْبَشْتْرُ:

تقع مدينة بَرْبَشْتْرُ Barbastro على فرع صغير من أفرع نهر الإبرو، في الشمال الشرقي لسرقسطة(ياقوت الحموي، دط: 294/1)، وموضعها من أمنع القواعد الإسلامية الشمالية يوم ذاك: "وهي من أمهات مدن الثغر الفائقة في الحصانة والامتناع(ابن عبد المنعم الحِمْيَري، 1988: 90). وقد كانت من أعمال مملكة سرقسطة في عهد سليمان بن هود، ولكن سليمان بن هود قبيل وفاته(ت438هـ/ 1046م)

قسّم مملكته بين أولاده، فكانت بَرْبَشْتْرُ من نصيب ابنه يوسف المظفر، وقد طمع فيها أخوه أحمد المقتدر، الذي كان أقوى إخوته، فقد استولى على معظم ممتلكاتهم عدا مدينة بَرْبَشْتْرُ، فأراد ضمها لممتلكاته(ابن عِذاري المراكشي، 1983: 222/3)، لتأسيس مملكة كبيرة تضم معظم ميراث أبيه. لكن هذا الطموح الجريء اصطدم بتطلعات ورغبات أخيه يوسف المظفر، الذي كان هو الآخر يرغب في توسيع مُلكه، وتكوين إمارة يمد عليها سلطانه، مما انعكس سلبا على العلاقات بين هذين الأخوين، واشتد التنافس والصراع بينهم، كان من أهم نتائج ذلك غزو النُورْمَان(أنظر التعليق رقم 6) لهذه المدينة الإسلامية.

وتمثلت هذه الغزوة في حملة كبيرة انطلقت من الأرض الكبيرة أو غاليش(فرنسا حاليا)، واتجهت نحو المنطقة الشمالية الشرقية للأندلس، وقدرت بعشرة آلاف فارس، وقد حاصرت هذه الحملة في البداية مدينة وَشْقَة Huesca، إلا أنها فشلت في اقتحامها، فرحلت عنها وسارت نحو مدينة بَرْبَشْتْرُ، التي ضربت حولها الحصار لمدة أربعين يوما، ثم اقتحمتها بقسوة وعنف رغم صمود أهلها، وذلك في سنة 456هـ/ 1064م.

ومُلَخّص أحداث مأساة بَرْبَشْتْرُ: أنّ جيش النورمانيين (الأردمانيين حسب الرواية العربية)، حاصروا المدينة لمدة أربعين يوما، ولم يتحرك يوسف المظفر بن هود لنصرتها، حتى قلت فيها الأقوات، فألَحُّوا عليها، ودخلوا المدينة الخارجية، فتحصن الناس في مدينتهم الداخلية، وكانت السُقيا تُستمد من سرب تحت الأرض يفضي إلى النهر، فوقعت فيه صخرة حالت دون الحصول على الماء، فاجتمع على أهلها الجوع والعطش، فطلبت الحامية الأمان فكان لها ذلك، ولكن النورمانيين غدروا بهم وقتلوهم جميعا، واستولوا من الغنائم على مالا يكاد يُحصى كثرة، وزعموا أنه حصل لأكبر رؤسائهم في حصته نحو ألف وخمسمائة جارية أبكار، ومن أوقار الأمتعة من الحلي والكسوة خمسمائة حمل، وقيل أيضا أنه أصيب فيها تقتيلا وسبيا ما يبلغ خمسين ألفا نسمة، وترك قائد النورمانيين حامية في المدينة عددها ألف وخمسمائة من الخيالة وألفان من الرجالة(ابن بسام الشنتريني، 1981: ق3. مج181/1).

وقد قيل في مأساة بَرْبَشْتْرُ شعراً، من ذلك ما قاله الفقيه الزاهد عبد الله ابن العسّال الطليطلي(ت487هـ/ 1094م)(ابن عبد المنعم الحِمْيَري، 1988: 40-41):

ولقد رَمَاناَ المشركون بِأَسْـهُمٍ لم تُخطِ لكن شَأْنُهاَ الصَّـــمَّاءُ
هتَكُوا بِخَيْلِهِمُ قصور حريـمها لم يبقَ لا جبلٌ ولا بَطْـــحُاءٌ
جاسُوا خلال ديارهم فلهم بهـا في كل يوم غارة شعـــــواء
ماتت قلوب المسلمين برُعبـهم فحُماتُنا في حربهم جُبـــنَاء
كم مَوْضِع غنموه لم يُرحَم بـه طفل ولا شيخ ولا عـــــذراءٌ

وتدل مأساة بَرْبَشْتْرُ على مدى الضعف والخلل الذي أصاب الأندلس يوم ذاك، وخاصة أمرائها الذين تركوا المدينة وحدها لمصيرها المشئوم، وخاصة منهم أحمد المقتدر، الذي تقع عليه كل المسؤولية، حيث لم يبادر لنجدتها، لأنها فقط من أعمال غريمه(أخيه) يوسف المظفر، ولكنه أدرك عواقب ذلك فيما بعد، حيث بعد بضعة أشهر، قاد القوات الإسلامية التي استجمعت له من مختلف مناطق الأندلس، واتجه بها نحو المدينة، واستطاع استرجاعها وطرد الغزاة منها، وذلك في جمادي الأولى سنة 457/ أبريل1065م(ابن بسام الشنتريني، 1981: ق3. مج1/189-190).

استيلاء السِّيد الكمبيطور على بلنسية :

عندما استولى ألفونسو السادس على طليطلة سنة 478هـ/ 1085م، تعهّد لملكها المخلوع يحي القادر بن ذي النون، بأنْ يُعِينه على أخذ بلنسية، فأرسل معه فرقة من الجنود النصارى(عبد الملك ابن الكردبوس، 1971: 86). وخوفاً من أنْ تتعرض المدينة لهجوم هؤلاء الجنود النصارى، سلّمها له أهلها، فدخلها يحي القادر في شوال سنة 478هـ/فبراير1086م. ولكن يحي القادر سار في أهلها بسيرة سيئة، "فأحدث فيها أحداثا، وغيّر أحكاما، وأظهر مُنكرًا كثيرًا (ابن عِذاري المراكشي، 1983: 3/304-305). فسخط عليه أهلها، وأصبحوا يتحيّنون به الفرص، خاصة مع الضغط الذي مارسه الكمبيطور الذي: "أخذ بمخنق بلنسية، وألقى زوْره عليها، يُجبي رعيتها، ويستغلها حاضرة وبادية(ابن عِذاري المراكشي، 1983: 4/31).

بدأ أهل بلنسية يُفكّرون في كيفية التّخلص من يحي القادر ومن

سيّده الكمبيطور، خاصة بعدما سمعوا بانتصارات المرابطين المظفرة، ووصولهم لشرق الأندلس. وقد أتت لأهل بلنسية الفرصة عندما استغاث المستعين بن هود بالكمبيطور، وعقد معه حلفاً لدفع خطر المرابطين الدّاهم، كما يشير إليه ابن بسام بقوله: "ولماّ أحس أحمد بن هود [المستعين]، المنتزي إلى وقتنا هذا على سرقسطة، بعساكر أمير المسلمين[أمير المرابطين] تنسلّ من كل حدب، وتطلع على أطرافه من كل مرقب، أسّدَ كلباً من أكلب الجلالقة، يسمى برذريق، ويدعى بالكمبيطور(ابن بسام الشنتريني، 1981: ق3. مج1/189-195).

وعزم أهل بلنسية على التّخلص من تلك القيود التي فرضها الكمبيطور على المدينة، فتزعّم الثورة قاضي المدينة الفقيه جعفر بن جَحّاف، فتخلّص من يحي القادر بن ذي النون في 23 رمضان سنة 485هـ/أكتوبر 1092م. حيث أمر القاضي ابن جحاف بقتل يحي القادر بن ذي النون، وتولى ذلك فتى من بني الحديدي، ثأراً لقتل يحي القادر لشيخهم الفقيه أبي بكر بن الحديدي في سنة 468هـ/1076م (ابن عِذاري المراكشي، 1983: 32/4). وبُويع للقاضي ابن جحاف كحاكم جديد للمدينة في 24 رمضان سنة 485هـ/ 29 أكتوبر1092م (ابن عِذاري المراكشي، 1983: 305/3).

ولم يكن القاضي ابن جحاف إلاّ فقيهاً لا يُحسن أمور السياسة، ولا يعي تدبير شؤونها(ابن بسام الشنتريني، 1981: ق3. مج1/ 97). لذلك قوي طمع الكمبيطور في أخذ مدينة بلنسية، فضرب عليها حصاراً شديداً، حتى: "أكَل أهلها الفئران والكلاب والجيف(ابن عِذاري المراكشي، 1983: 305/3). وأخذ ابن جَحّاف يستصرخ المرابطين، وقبل أنْ تصله النجدات، اضطر إلى تسليم المدينة في 28 جمادي الأولى سنة 488هـ/1095م. وعندئذ طالبه الكمبيطور بذخيرة نفيسة كانت لابن ذي النون، فأنكر أنّها عنده، وحلف أمام الملتين [الإسلام والمسيحية] على ذلك، وأخذ الكمبيطور عليه عهداً، أنّه إنْ وجدها عنده، حلّ سفك دمه. وبعد البحث عنها، وجدها عنده، فأضرم للفقيه ناراً وأحرقه فيها، كما أحرق رجالا آخرين، وذلك في جمادي الأولى سنة 488هـ/1095م(ابن بسام الشنتريني، 1981: ق3. مج1/

98-99).

وفي هذه المحنة يقول شاعرها المعاصر لها أبو إسحاق ابن خفاجة[ت 533هـ/ 1140م](ابن بسام الشنتريني، 1981: ق3. مج1 /100):

عاثتْ بساحَتِكِ العـــــدا يا دارُ ومَحَا محاسِنَكِ البِلَى والنارُ
فإذا تَـــــرَدَّدَ في جَنابِكِ ناظــرٌ طال اعتبارٌ فيك واستعبارٌ
أرضٌ تقاذفَتِ الخطوبُ بأهلــها وتمخضت بخرابها الأقــدارُ
كتبت يدُ الحدثان في عَرَصَاتها لا أنْتِ أنتِ ولا الديّار ديـارُ

وقد أثار سقوط بلنسية بيد الكمبيطور، وإحراق الفقيه القاضي ابن جَحّاف، موجة عارمة من السخط في الأندلس، كما عبّر عن ذلك ابن بسام في قوله: "وأضرم هذا المصاب الجليل، أقطار الجزيرة يومئذ نارا، وجلل طبقاتها خزيا وعارا(ابن بسام الشنتريني، 1981: ق3. مج99/1). وتوالَى على أمير المسلمين[أمير المرابطين] يوسف بن تاشفين(ت500هـ/1107م)، صريخ المسلمين، فأعتزم أمير المسلمين أن يستردّ المدينة العظيمة، كما يقول ابن بسام: "وتجرد أمير المسلمين، لما بلغه هذا النبأ الفظيع، واتصل به هذا الرزء الشنيع، فكانت قذى أجفانه، وجماع شأنه، وشغل يده ولسانه(ابن بسام الشنتريني، 1981: ق3. مج100/1).

فضرب الجيش المرابطي حصارا شديدا حول المدينة، بقيادة الأمير أبو محمد مزدلي أحد كبار قادة المرابطين(ت508هـ/ 1115م) ورغم المساعدات التي وصلت إلى السِّيد الكمبيطور، من قبل ألفونسو السادس والجيش القشتالي، إلاّ أنّ ذلك لم يجد نفعا، أمام قوة الجيش المرابطي، والتي دخلت المدينة ظافرة في شهر رمضان من سنة 495هـ/ماي 1102م(ابن بسام الشنتريني، 1981: ق3. مج101/1)، وأعادت مدينة بلنسية إلى حظيرة الإسلام.

خاتمة:

وهكذا فإنّ الأندلس خلال عهد ملوك الطوائف[القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي]، قد عرفت فوضى سياسية وتردي في الحالة الأمنية، نتجت عنها ضعف الوحدة الداخلية، وتشرذم البلاد إلى مجموعة من الإمارات الضعيفة، والتي تميزت علاقاتها فيما

بينها، بالصراعات والحروب، من أجل توسيع سلطانها على الأضعف منها، وكان الرابح الكبير في كل ذلك، هم النصارى الإسبان في الشمال، الذين توحدوا وأصبحوا قوة كبيرة، ووجهوا كل طاقاتهم نحو الجبهة الإسلامية، قصد استرداد أراضيهم بزعمهم، كانت نتيجة ذلك احتلال عدة مناطق من البلاد، لعل أهمها وأخطرها احتلال طليطلة قلب البلاد ونقطة الدائرة منها، ولولا فضل الله تعالى ومنّه على المسلمين عامة والأندلسيين خاصة، ثم جهود دولة المرابطين السُنّية المجاهدة، التي جاهدت في الأندلس وأوقفت الزحف النصراني الصليبي، ووحّدت الأندلس بعد أن قضت على ملوك الطوائف، لما تأخّر سقوط الأندلس لقرون أخرى بعد ذلك.

التعليقات:

1. الشاعر هو: أبو علي الحسن ابن رشيق القيرواني، أديب ولغوي وشاعر كبير، من شعراء الدولة الزيرية بإفريقية، ولد بالمسيلة سنة 390هـ/999م، وعاش بالقيروان، ومات بصقلية سنة 463هـ/1071م (ابن خلكان، دط: 85/2).
2. رَيُّه: كورة واسعة كثيرة الخيرات، جنوب شرقي الأندلس(ابن عبد المنعم الحِمْيَري، 1988: 79). والكورة: هي كل صقع يشتمل على عدّة قرى، يجمع اسمها مدينة أو نهر(ياقوت الحموي، 1996: 39/1).
3. الصقلبي: نسبة إلى الصقالبة، وهو اسم كانوا يُطْلِقُونَه على أسْرَى الحروب، من جميع البلاد الأوروبية، حيث كان القراصنة يَغْزُون السواحل، ويصيدون الناس، ويبيعونهم في سوق الرقيق بالأندلس(أحمد أمين، 2006، 13/3).
4. هذه الممالك النصرانية كانت في أواخر القرن العاشر الميلادي ثلاث وهي: مملكة نبّرة Navarra، مملكة ليون Léon، ومملكة قشتالة Castilla(محمد عبد الله عِنان، 1960: 376-377).
5. السِّيد القنبيطور أو الكنبيطور أو الكمبيطور أو الكمبيادور Cid El Campeador: هو: رودريجو دياز دي فيفار(1099-1045م)، فارس قشتالي مشهور، والكمبيادور تعني المبارز أو قائد الغارات في السهول. أما تلقبه بالسِّيد El Cid فتعني إما الذئب أو الأسد وهو أكثر قبولا، أو هو تحريف لكلمة السَّيِّد العربية التي أطلقها عليه المسلمون الذين كان يَخدُم بينهم ويُحارب معهم(الطاهر أحمد مكي، 1995: 128-135).
6. النورمان: هذه الكلمة تنقسم إلى قسمين: NORD وMANNI أو NORTH وMANNI : التي تعني رجال الشمال، نسبة إلى مواطنهم

الأصلية التي وفدوا منها وهي شبه جزيرة اسكندناوة وحوض بحر البلطيق(رشيد تومي، 1988: 2-3).

المصادر والمراجع:

- الإدريسي، محمد بن محمد بن عبد الله بن إدريس، (1989)، **نزهة المشتاق في اختراق الآفاق**، ط1، بيروت: دار عالم الكتب.

- أشباخ، يوسف، (1958)، **تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين**، ط2، ترجمة محمد عبد الله عِنان، القاهرة: مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر.

- أمين، أحمد، (2006)، **ظهر الإسلام**، ط1، صيدا/بيروت: المكتبة العصرية.

- بالنثيا، أنخل جنثالث، (1955)، **تاريخ الفكر الأندلسي**، د.ط، ترجمة حسين مؤنس، القاهرة: مكتبة الثقافة الدينية.

- بروفنسال، ليفي، (1990)، **الإسلام في المغرب والأندلس**، د.ط، ترجمة السيد محمود عبد العزيز سالم ومحمد صلاح الدين حلمي، الإسكندرية: مؤسسة شباب الجامعة.

- ابن بسام، أبو الحسن علي بن بسام الشنتريني،(1981)، **الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة**، د.ط، ليبيا/تونس: الدار العربية للكتاب.

- ابن بُلكّين، الأمير عبد الله بن بُلكّين الزّيري، (2006)، **التّبيان عن الحادثة الكائنة بدولة بني زيري في غرناطة**، ط1، القاهرة: مكتبة الثقافة الدينية.

- بوتشيش، إبراهيم القادري، (2002)، **إضاءات حول تراث الغرب الإسلامي وتاريخه الاقتصادي والاجتماعي**، ط1، بيروت: دار الطليعة.

- تومي، رشيد، (1988/1987م). **العلاقات الخارجية لدولة النورمان في جنوب إيطاليا وصقلية ما بين 1017 - 1154م**. رسالة ماجستير في التاريخ الوسيط، معهد التاريخ جامعة الجزائر، الجزائر.

- الحجي، عبد الرحمن، (1998)، **تاريخ الأندلس من الفتح إلى سقوط غرناطة**، ط3، بيروت: دار النهضة العربية.

- ابن حزم، أبو محمد علي بن أحمد، (1987)، **رسائل ابن حزم الأندلسي**، ط2، بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر.

- الحموي، شهاب الدين ياقوت أبي عبد الله، (1996)، **معجم البلدان**، د.ط، بيروت: دار إحياء التراث العربي.

- الحِمْيَري، أبو عبد الله محمد بن عبد الله، (1988)، **صفة جزيرة الأندلس**، ط2، بيروت: دار الجبل.

- ابن الخطيب، لسان الدِّين محمد بن عبد الله، (1956)، **أعمال الأعلام في من بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام(القسم الخاص باسبانيا الإسلامية)**، ط2، دار المكشوف: بيروت.

- ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد، (2000)، **العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر**، د.ط، بيروت: دار الفكر.

- ابن خلّكان، أبو العباس شمس الدّين أحمد بن محمد، (د.ت)، **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**، د.ط، بيروت: دار صادر.

- دوزي، رينهرت، (1994)، **المسلمون في الأندلس**، د.ط، ترجمة حسن حبشي، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب.

- الراشد، عبد الجليل عبد الرضا، (نوفمبر 1974). <<الحالة السياسية في الأندلس في عهد دويلات الطوائف>>. **مجلة المورد**، وزارة الإعلام بالجمهورية العراقية، المجلد:الثالث، العدد: الرابع، ص.ص56-57.

- ابن أبي زرع الفاسي، علي بن عبد الله، (1972): **الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس**، د.ط، الرباط: دار المنصور للطباعة والوراقة.

- العبادي، أحمد مختار، (2005)، **في تاريخ المغرب والأندلس**،

د.ط، الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية.

- ابن عِذاري المراكشي، أحمد بن محمد، (1983)، **البَيَان المُغْرِب في أخبار الأندلس والمَغرب**، ط3، بيروت: دار الثقافة.

- عِنان، محمد عبد الله، (1960)، **دول الطوائف من قيامها حتى الفتح المرابطي**، ط1، القاهرة: مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر.

- ابن الكردبوس، أبو مروان عبد الملك التوزري، (1971)، **تاريخ الأندلس لابن الكردبوس ووصفه لابن الشباط (نصان جديدان)**، د.ط، مدريد: معهد الدراسات الإسلامية.

- المقري، أحمد بن محمد المقري التلمساني، (1988)، **نَفْحُ الطَّيب من غُصن الأندلس الرَّطيب وذكر وزيرها لسان الدِّين بن الخطيب**، د.ط، بيروت: دار صادر.

- مكي، الطاهر أحمد، (1995)، **ملحمة السِّيد**، ط4، القاهرة: دار المعارف.

- Lévi provençal. (1999). **Histoire de l'Espagne Musulmane.** Paris: Maisonneuve Et Larousse.

- Philippe Conrad. (1999). **Histoire de la Reconquista**. 2ème édition, Paris: des presses Universitaires de France.

للإحالة على هذا المقال:
كمال قمان، (2023)، «مظاهر الضعف السياسي في الأندلس خلال عصر ملوك الطوائف». **المواقف**، المجلد: 19، العدد: 01، جوان 2023، ص. ص 636- 657.